

سورة الرعد

فصل في نزولها.

اختلفوا في نزولها على قولين.

أحدهما: أنها مكية، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وعطاء، وقتادة. وروى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية، إلا آيتين منها، قوله:

{وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ} إلى آخر الآية [الرعد: 31] وقوله {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا} [الرعد: 34]

والثاني: أنها مدنية، رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس، وبه قال جابر ابن زيد. وروي عن ابن عباس أنها مدنية، إلا آيتين نزلتا بمكة، وهما قوله: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ} إلى آخرها [الرعد: 13] وقال بعضهم: المدني منها قوله: {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ لُبْرَقَ} إلى قوله: {لَهُ دَعْوَةٌ لِحَقٍّ} [الرعد: 14]

بسم الله الرحمن الرحيم.
{لَمَرِّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لِحَقٍّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ} * {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ يُسَوِّدُ عَلَى الْعَرْشِ وَيُبْرِجُ السَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ}

قوله تعالى: {المر} قد ذكرنا في سورة {البقرة} جملة من الكلام في معاني هذه الحروف. وقد روي عن ابن عباس في تفسير هذه الكلمة ثلاثة أقوال.

أحدها: أن معناها: أنا الله أعلم وأرى، رواه أبو الضحى عنه. والثاني: أنا الله أرى، رواه سعيد بن جبير عنه. والثالث: أنا الله الملك الرحمن، رواه عطاء عنه.

قوله تعالى: {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ} في «تلك» قولان وفي «الكتاب» قولان قد تقدمت في أول {يُؤْمِنُونَ}

قوله تعالى: {وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لِحَقٍّ} يعني: القرآن وغيره من الوحي {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ} قال ابن عباس: يعني: أهل مكة. قال الزجاج: لما ذكر أنهم لا يؤمنون، عرف الدليل الذي يوجب التصديق بالخالق فقال: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ * السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ} قال أبو عبيدة: العمد:

متحرك الحروف بالفتحة، وبعضهم يحركها بالضمة، لأنها جمع عمود، وهو القياس، لأن كل كلمة هجاؤها أربعة أحرف الثالث منها ألف أو ياء أو واو، فجميعه مضموم الحروف، نحو رسول، والجمع: رسل، وحمار، والجمع: حمر،

غير أنه قد جاءت أسامي استعملوا جميعها بالحركة والفتحة، نحو عمود، وأديم، وإهاب، قالوا: ادم، وأهب. ومعنى «عمد» سوار، ودعائم، وما يعمد البناء. وقرأ أبو حيو: «بغير عمد» بضم العين والميم. وفي قوله: {تَرَوْنَهَا} قولان.

أحدهما: أن هاء الكناية ترجع إلى السموات، فالمعنى: ترونها بغير عمد، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة، والجمهور. وقال ابن الأنباري: «ترونها» خبر مستأنف، والمعنى: رفع السموات بلا دعامة تمسكها، ثم قال: «ترونها» أي: ما تشاهدون من هذا الأمر العظيم، يغنيكم عن إقامة الدلائل عليه.

والثاني: أنها ترجع إلى العمدة، فالمعنى: إنها بعمد لا ترونها، رواه عطاء، والضحاك عن ابن عباس، وقال: لها عمد على قاف، ولكنكم لا ترون العمدة، وإلى هذا القول ذهب مجاهد، وعكرمة، والأول أصح. قوله تعالى: {وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ} أي: ذللهما لما يراد منهما {كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى} أي: إلى وقت معلوم، وهو فناء الدنيا. {يُدَّبَّرُ الْأَمْرُ} أي: يصرفه بحكمته. {يُقَفَّلُ الْآيَاتِ} أي: يبين الآيات التي تدل أنه قادر على البعث لكي توقنوا بذلك. وقرأ أبو رزيني، وقتادة، والنخعي. «ندبر الأمر نفصل الآيات» بالنون فيهما.

{وَهُوَ لِذِي مَدٍّ الْأَرْضِ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} قوله تعالى: {وَهُوَ لِذِي مَدٍّ الْأَرْضِ} قال ابن عباس: بسطها على الماء. قوله تعالى: {وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ} قال الزجاج: أي جبالاً ثوابت، يقال: رسا الشيء يرسوا رسوا، فهو راس: إذا ثبت. و {جَعَلَ فِيهَا رَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ} أي: نوعين. والزوج: الواحد الذي له قرين من جنسه. قال المفسرون: ويعني بالزوجين: الحلو والحامض، والعذب والملح، والأبيض والأسود. قوله تعالى: {يَغْشَى وَهُوَ لِذِي} قد شرحناه في {الْأَعْرَافِ}. {وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَةٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوُنٌ وَغَيْرُ صِنْوُنٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ وَنُفْصَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}

قوله تعالى: {وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَةٌ} فيها قولان. أحدهما: أنها الأرض السبخة، والأرض العذبة، تنبت هذه، وهذه إلى جنبها لا تنبت، هذا قول ابن عباس، وأبي العالية، ومجاهد، والضحاك.

والثاني: أنها القرى المتجاورات، قاله قتادة، وابن قتيبة، وهو يرجع إلى معنى الأول.

قوله تعالى: {وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ} قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: {وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنُونٌ وَعَيْرٌ صِنُونٌ} رفعاً في الكل. وقرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي وأبو بكر عن عاصم: وزرع ونخيل صنوان. «وغير صنوان» خفضاً في الكل. قال أبو علي: من رفع، فالمعنى: وفي الأرض قطع متجاورات وجنات، وفي الأرض زرع، ومن خفض حمله على الأعناب، فالمعنى: جنات من أعناب، ومن زرع، ومن نخيل.

قوله تعالى: {صِنُونٌ وَعَيْرٌ صِنُونٌ} هذا من صفة النخيل. قال الزجاج: الصنوان: جمع صنو وصنو، ومعناه: أن يكون الأصل واحداً وفيه النخلتان والثلاث والأربع. وكذلك قال المفسرون: الصنوان: النخل المجتمع وأصله واحد، وغير صنوان: المتفرق. وقرأ أبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، وابن جبير، وقتادة: «صنوان» بضم الصاد. قال الفراء: لغة أهل الحجاز «صنوان» بكسر الصاد، وتميم وقيس يضمنون الصاد.

قوله تعالى: {تَسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو «تسقى» بالتاء، «ونفضل» بالنون، وقرأ حمزة، والكسائي «تسقى» بالتاء أيضاً، لكنهما أمالا القاف. وقرأ الحسن «ويفضل» بالياء. وقرأ عاصم، وابن عامر «يسقى» بالياء، «ونفضل» بالنون، وكلهم كسر الصاد. وروى الحلبي عن عبد الوارث ضم الياء من «يفضل» وفتح الصاد، بعضها» برفع الصاد. وقال الفراء: من قرأ «تسقى» بالتاء ذهب إلى تأنيث الزرع، والجنات، والنخيل، ومن كسر ذهب إلى النبت، وذلك كله يسقى بماء واحد، وأكله مختلف حامض وحلو، ففي هذا آية. قال المفسرون: الماء الواحد: ماء المطر، والأكل: الثمر، بعضه أكبر من بعض، وبعضه أفضل من بعض، وبعضه حامض وبعضه حلو، إلى غير ذلك، وفي هذا دليل على بطلان قول الطبايعيين، لأنه لو كان حدوث الثمر على طبع الأرض والهواء، والماء، وجب أن يتفق ما يحدث لاتفاق ما أوجب الحدوث، فلما وقع الاختلاف، دل على مدبر قادر، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} أنه لا تجوز العبادة إلا لمن يقدر على هذا.

{وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءَدَا كُنَّا ثُرَابًا أَوْ لَافِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ أَغْلَلُوا فِي غَنَائِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}

قوله تعالى: {وَإِنْ تَعْجَبْ} أي: من تكذيبهم وعبادتهم ما لا ينفع ولا يضر بعدما رأوا من تأثير قدرة الله عز وجل في خلق الأشياء، فانكارهم البعث موضع

عجب. وقيل: المعنى: وإن تعجب بما وقفت عليه من القطع المتجاورات
وقدرة ربك في ذلك، فعجب جردهم البعث، لأنه قد بان لهم من خلق
السموات والأرض ما يدل على أن البعث أسهل من القدرة.
قوله تعالى: { كُنَّا تُرَابًا أًءً } قرأ ابن كثير، وأبو عمرو «أيذا كنا ترابا آينا»
جميعا بالاستفهام، غير أن أبا عمرو يمد الهمزة ثم يأتي بالياء ساكنة، وابن كثير
يأتي بياء ساكنة بعد الهمزة من غير مد. وقرأ نافع «أيذا» مثل أبي عمرو،
واختلف عنه في المد، وقرأ «إنا لفي خلق» مكسورة على الخبر. وقرأ عاصم،
وحمزة «أيذا كنا» «أنا» بهمزتين فيهما. وقرأ ابن عامر «إذا كنا ترابا»
مكسورة الألف من غير استفهام، «أنا» يهمز ثم يمد ثم يهمز على وزن:
عاعنا. وروي عن ابن عامر أيضا «أيذا» بهمزتين لا ألف بينهما.
والأغلال جمع غل، وفيها قولان. أحدهما: أنها أغلال يوم القيامة، قاله الأكثرون.
والثاني: أنها الأعمال التي هي أغلال، قاله الزجاج.
{ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ لَمَثَلَةٌ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو
مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظَلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ * وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا
أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ * اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ
أَنْفٍ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ * عِلْمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةُ لَكَبِيرٌ لِمُتَعَالٍ {
قوله تعالى: { وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ } اختلفوا فيمن نزلت على
ثلاثة أقوال.
أحدها: أنها نزلت في كفار مكة، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يأتيهم بالعذاب، استهزاء منهم بذلك، قاله ابن عباس.
والثاني: في مشركي العرب، قاله قتادة.
والثالث: في النضر بن الحارث حين قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من
عندك، قاله مقاتل.
وفي السيئة والحسنة قولان.
أحدهما: بالعذاب قبل العافية، قاله ابن عباس، ومقاتل.
والثاني: بالشر قبل الخير، قاله قتادة.
فأما { لَمَثَلَةٌ } فقرأ الجمهور بفتح الميم. وقرأ عثمان، وأبو رزين، وأبو
مجلز، وسعيد بن جبير، وقتادة، والحسن، وابن أبي عتبة برفع الميم.
ثم في معناها قولان.
أحدهما: أنها العقوبات، قاله ابن عباس. وقال الزجاج: المعنى: قد تقدم.

أحدها: أن المراد بالهادي: الله عز وجل، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك، والنخعي، فيكون المعنى: إنما إليك الإنذار، والله الهادي.

والثاني: أن الهادي: الداعي، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: أن الهادي: النبي صلى الله عليه وسلم، قاله الحسن، وعطاء، وقتادة، وابن زيد، فالمعنى: ولكل قوم نبي ينذرهم.

والرابع: أن الهادي: رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا، قاله عكرمة، وأبو الضحى، والمعنى: أنت منذر، وأنت هاد.

والخامس: أن الهادي: العمل، قاله أبو العالية.

والسادس: أن الهادي: القائد إلى الخير أو إلى الشر قاله أبو صالح عن ابن عباس.

وقد روى المفسرون من طرق ليس فيها ما يثبت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:

لما نزلت هذه الآية، وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره، فقال: «أنا المنذر» وأوماً بيده إلى منكب علي، فقال: «أنت الهادي يا علي بك يهتدى من بعدي» قال المصنف: وهذا من موضوعات الرافضة.

ثم إن الله تعالى أخبرهم عن قدرته، رداً على منكري البعث، فقال: {إِلَّاهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى} أي: من علقه أو مضغة، أو زائد أو ناقص، أو ذكر أو أنثى، أو واحد أو اثنين أو أكثر، {وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ} أي: وما تنقص، {وَمَا تَزْدَادُ} وفيه أربعة أقوال.

أحدها: ما تغيض: بالوضع لأقل من تسعة أشهر، وما تزداد: بالوضع لأكثر من تسعة أشهر، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، والضحاك، ومقاتل، وابن قتيبة، والزجاج.

والثاني: وما تغيض: بالسقط الناقص، وما تزداد: بالولد التام، رواه العوفي عن ابن عباس، وعن الحسن كالقولين.

والثالث: وما تغيض: بإراقة الدم في الحمل حتى يتضاءل الولد، وما تزداد: إذا أمسكت الدم فيعظم الولد، قاله مجاهد.

والرابع: ما تغيض الأرحام: من ولدته من قبل، وما تزداد: من تلده من بعد، روي عن قتادة، والسدي.

قوله تعالى: {وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} أي: بقدر. قال أبو عبيدة: هو مفعال من القدر. قال ابن عباس: علم كل شيء فقدره تقديراً.

قوله تعالى: {عَالِمٌ لِّغَيْبٍ وَٱلشَّهَادَةِ} قد شرحنا ذلك في {ٱلْأَنعَامِ}. و {ٱلْكَافِرُ} بمعنى: العظيم. ومعناه: يعود إلى كبر قدره واستحقاقه صفات العلو، فهو أكبر من كل كبير، لأن كل كبير يصغر بالإضافة إلى عظمته. ويقال: «الكبير» الذي كبر عن مشابهة المخلوقين.

فأما {ٱلْمُتَعَالَى} فقرأ ابن كثير «المتعالى» بياء في الوصل والوقف، وكذلك روى عبد الوارث عن أبي عمرو، وثبتها في الوقف دون الوصل ابن شنبوذ عن قنبل، والباقون بغير ياء في الحالين. والمتعالى هو المتنزه عن صفات المخلوقين، قال الخطابي: وقد يكون بمعنى العالى فوق خلقه. وروى عن الحسن أنه قال: المتعالى عما يقول المشركون.

{سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَّ لِقَوْلٍ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌ بِٱلنَّهَارِ}

قوله تعالى: {سَوَاءٌ مِّنْكُمْ} قال ابن الأنباري: ناب «سواء» عن مستو، والمعنى: مستو منكم {مَّنْ أَسَرَّ لِقَوْلٍ} أي: أخفاه وكتمه {وَمَنْ جَهَرَ بِهِ} أعلنه وأظهره، والمعنى: أن السر والجهر سواء عنده. قوله تعالى: {وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ} فيه قولان. أحدهما: أن المستخفي: هو المستتر المتواري في ظلمة الليل، والسارب بالنهار: الظاهر المتصرف في حوائجة. يقال: سربت الإبل تسرب: إذا مضت في الأرض ظاهرة، وأنشدوا:

أرى كل قوم قاربوا قيد فحلهم ونحن خلعنا قيده فهو سارب

أي: ذاهب. ومعنى الكلام: أن الظاهر والخفي عنده سواء، هذا قول الأكثرين. وروى العوفي عن ابن عباس: «ومن هو مستخف» قال: صاحب ريبة بالليل، فإذا خرج بالنهار، أرى الناس أنه بريء من الإثم.

والثاني: أن المستخفي بالليل: الظاهر، والسارب بالنهار: المستتر، يقال: انسرب الوحش: إذا دخل في كناسه، وهذا قول الأخفش، وذكره قطرب أيضاً، واحتج له ابن جرير بقولهم: خفيت الشيء: إذا أظهرته، ومنه {أَكَاذُ أَخْفِيهَا} [طه: 15] بفتح الألف، أي: أظهرها، قال: وإنما قيل للمتواري: سارب، لأنه صار في السرب مستخفياً.

{لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن ءَآلٍ} {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ} في هاء «له» أربعة أقوال.

أحدها: أنها ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس.

والثاني: إلى الملك من ملوك الدنيا، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس.

والثالث: إلى الإنسان، قاله الزجاج.

والرابع: إلى الله تعالى، ذكره ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقي.

وفي المعقبات قولان.

أحدهما: أنها الملائكة، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والحسن، وقتادة في آخرين. قال الزجاج: والمعنى: للإنسان ملائكة يعقبون، يأتي بعضهم يعقب بعض. وقال أكثر المفسرين: هم الحفظة، اثنان بالنهار واثنان بالليل، إذا مضى فريق، خلف بعده فريق، ويجتمعون عند صلاة المغرب والفجر. وقال قوم، منهم ابن زيد: هذه الآية خاصة في رسول الله صلى الله عليه وسلم، عزم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس على قتله، فمنعه الله منهما، وأنزل هذه الآية.

والقول الثاني: أن المعقبات حراس الملوك الذين يتعاقبون الحرس، وهذا مروي عن ابن عباس، وعكرمة. وقال الضحاك: هم السلاطين المشركون المحترسون من الله تعالى.

وفي قوله: {يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} سبعة أقوال.

أحدها: يحرسونه من أمر الله ولا يقدرّون، هذا على قول من قال: هي في المشركين المحترسين من أمر الله.

والثاني: أن المعنى: حفظهم له من أمر الله، قاله ابن عباس، وابن جرير، فيكون تقدير الكلام: هذا الحفظ مما أمرهم الله به.

والثالث: يحفظونه بأمر الله، قاله الحسن، ومجاهد، وعكرمة. قال اللغويون: والباء تقوم مقام «من» وحروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض.

والرابع: يحفظونه من الجن، قاله مجاهد، والنخعي. وقال كعب: لولا أن الله تعالى وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم، إذا لتخطفتكم الجن. وقال مجاهد: ما من عبد إلا وملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن. والإنس والهوام، فإذا أراد شيء، قال: وراءك وراءك، إلا شيء قد قضى له أن يصيبه.

وقال أبو مجلز: جاء رجل من مراد إلى علي عليه السلام فقال: احترس، فإن ناسا من مراد يريدون قتلك، فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، وإن الأجل جنة حصينة.

والخامس: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، والمعنى: له معقبات من أمر الله يحفظونه، قاله أبو صالح، والفراء.

والسادس: يحفظونه لأمر الله فيه حتى يسلموه إلى ما قدر له، ذكره أبو سليمان الدمشقي، واستدل بما روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: يحفظونه من أمر الله، حتى إذا جاء القدر خلوا عنه. وقال عكرمة: يحفظونه لأمر الله.

والسابع: يحفظون عليه الحسنات والسيئات، قاله ابن جريج. قال الأخفش: وإنما أنث المعقبات لكثرة ذلك منها، نحو النسابة، والعلامة، ثم ذكر في قوله: «يحفظونه» لأن المعنى مذكر.

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ} أي: لا يسلبهم نعمه {حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} فيعملوا بمعاصيه. قال مقاتل: ويعني بذلك كفار مكة. قوله تعالى: {وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا} فيه قولان. أحدهما: أنه العذاب. والثاني: البلاء.

قوله تعالى: {فَلَا مَرَدَّ لَهُ} أي: لا يردده شيء ولا تنفعه المعقبات. {وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ} يعني: من دون الله {مِنَ وَالٍ} أي: من ولي يدفع عنهم العذاب والبلاء.

{هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوَافًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ} قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوَافًا وَطَمَعًا} فيه أربعة أقوال.

أحدها: خوفًا للمسافر وطمعًا للمقيم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال قتادة: فالمسافر خاف أذاه ومشقته والمقيم يرجو منفعة.

والثاني: خوفًا من الصواعق وطمعًا في الغيث، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الحسن.

والثالث: خوفًا للبلد الذي يخاف ضرر المطر وطمعًا لمن يرجو الانتفاع به، ذكره الزجاج.

والرابع: خوفًا من العقاب وطمعًا في الثواب، ذكره الماوردي. وكان ابن الزبير إذا سمع صوت الرعد يقول: إن هذا وعيد شديد لأهل الأرض.

قوله تعالى: {وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ} أي: ويخلق السحاب الثقيل بالماء. قال الفراء: السحاب، وإن كان لفظه واحدًا، فإنه جمع واحدته سحابة، جعل نعته على الجمع، كما قال: {مُتَّكِنِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ} [الرحمن 76] ولم يقل: أخضر، ولا حسن.

{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ}

قوله تعالى: {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ} فيه قولان.

أحدهما: أنه إسم الملك الذي يزجر السحاب، وصوته: تسبيحه، قاله مقاتل.
والثاني: أنه الصوت المسموع. وإنما خص الرعد بالتسبيح، لأنه من أعظم الأصوات. قال ابن الأنباري: وإخباره عن الصوت بالتسبيح مجاز، كما يقول القائل: قد غمني كلامك.

قوله تعالى: {وَلَمَلِكُكُمْ مِنْ خِيفَتِهِ} في هاء الكناية قولان.

أحدهما: أنها ترجع إلى الله عز وجل، وهو الأظهر. قال ابن عباس: يخافون الله، وليس كخوف ابن آدم، لا يعرف أحدهم من على يمينه ومن على يساره، ولا يشغله عن عبادة الله شيء.

والثاني: أنها ترجع إلى الرعد، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: {وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ} اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال.

أحدها: أنها نزلت في أربد بن قيس، وعامر ابن الطفيل، أتيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان الفتك به، فقال: «اللهم اكفنيهما بما شئت» فأما أربد فأرسل الله عليه صاعقة في يوم صائف صاح فأحرقته، وأما عامر فأصابته غدة فهلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية، هذا قول الأكثرين، منهم ابن جريج، وأربد هو أخو لبيد بن ربيعة لأمه.

والثاني: أنها نزلت في رجل جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: حدثني يا محمد عن إلهك، أياقوت هو؟ أذهب هو؟ فنزلت على السائل صاعقة فأحرقته، ونزلت هذه الآية، قاله علي عليه السلام. قال مجاهد: وكان يهوديا. وقال أنس بن مالك: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بعض فراعنة العرب يدعوه إلى الله تعالى فقال للرسول: وما الله، أمن ذهب هو، أم من فضة، أم من نحاس؟ فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: «ارجع إليه فادعه»، فرجع، فأعاد عليه الكلام، إلى أن رجع إليه الثالثة، فبينما هما يتراجعان الكلام، إذ بعث الله سحابة حيال رأسه، فرعدت ووقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه، ونزلت هذه الآية.

والثالث: أنها في رجل أنكر القرآن وكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل الله عليه صاعقة فأهلكته، ونزلت هذه الآية، قاله قتادة.

قوله تعالى: {وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي آلِهِ} فيه قولان.

أحدهما: يكذبون بعظمة الله، قاله ابن عباس.

والثاني: يخاصمون في الله، حيث قال قائلهم: أهو من ذهب، أم من فضة؟ على ما تقدم بيانه.

قوله تعالى: {وَهُوَ شَدِيدُ لُمَحَالِ} فيه خمسة أقوال.
أحدها: شديد الأخذ، قاله علي عليه السلام.
والثاني: شديد المكر، شديد العداوة، رواه الضحاك عن ابن عباس.
والثالث: شديد العقوبة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وقال مجاهد في رواية
عنه: شديد الانتقام. وقال أبو عبيدة: شديد العقوبة والمكر والنكال، وأنشد
للأعشى:

فرع نبع يهتز في غصن المجد غزير الندى شديد المحال

إن يعاقب يكن غراما وإن يغط جزىلا فإنه لا يبالي

وقال ابن قتيبة: شديد المكر واليد، وأصل المحال: الحيلة.
والرابع: شديد القوة، قاله مجاهد. قال الزجاج: يقال ما حلتته محالا: إذا قاوته
حتى تبين له أيكما الأشد، والمحل في اللغة: الشدة.
والخامس: شديد الحق، قاله الحسن البصري فيما سمعناه عنه مسندا من
طرق، وقد رواه عنه جماعة من المفسرين منهم ابن الأنباري، والنقاش، ولا
يجوز هذا في صفات الله تعالى. قال النقاش: هذا قول منكر عند أهل الخبر
والنظر في اللغة لا يجوز أن تكون هذه صفة من صفات الله عز وجل. والذي
أختره في هذا ما قاله علي عليه السلام: شديد الأخذ، يعني: أنه إذا أخذ الكافر
والظالم لم يفلته من عقوباته.

{لَهُ دَعْوَةٌ لِحَقٍّ وَلِذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ
كَفِّهِ إِلَى لِمَاءٍ لِيَبْلُغَ قَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ}
قوله تعالى: {لَهُ دَعْوَةٌ لِحَقٍّ} فيه قولان.

أحدهما: أنها كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله، قاله علي، وابن عباس،
والجمهور، فالمعنى: له من خلقه الدعوة الحق، فأضيفت الدعوة إلى الحق،
لاختلاف اللفظين.

والثاني: أن الله عز وجل هو الحق، فمن دعاه دعا الحق، قاله الحسن.
قوله تعالى: {وَلِذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ} يعني: الأصنام يدعونها آلهة. قال أبو
عبيدة: المعنى: والذين يدعون غيره من دونه.

قوله تعالى: {لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ} أي: لا يجيبونهم.

قوله تعالى: {إِلَّا كَبْسِطٍ كَفِّهِ إِلَى لِمَاءٍ} فيه خمسة أقوال.

أحدها: أنه العطشان يمد يده إلى البئر ليرتفع الماء إليه وما هو ببالغه، قاله
علي عليه السلام، وعطاء.

والثاني: أنه الرجل العطشان قد وضع كفيه في الماء وهو لا يرفعهما، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثالث: أنه العطشان يرى خياله في الماء من بعيد، فهو يريد أن يتناوله فلا يقدر عليه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والرابع: أنه الرجل يدعو الماء بلسانه ويشير إليه بيده فلا يأتيه أبدا، قاله مجاهد.

والخامس: أنه الباسط كفيه ليقبض على الماء حتى يؤديه إلى فيه، لا يتم له ذلك، والعرب: تقول من طلب ما لا يجد فهو القابض على الماء، وأنشدوا: وإنني وإياكم وشوقا إليكم كقابض ماء لم تسقه أنامله

أي: لم تحمله، والوسق: الحمل، وقال آخر:

فأصبحت مما كان بيني وبينها من الود مثل القابض الماء باليد

هذا قول أبي عبيدة، وابن قتيبة.

قوله تعالى: {وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} فيه قولان.

أحدهما: وما دعاء الكافرين ربهم إلى في ضلال، لأن أصواتهم محجوبة عن الله، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والثاني: وما عبادة الكافرين الأصنام إلا في خسران وباطل، قاله مقاتل.

{وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ}

قوله تعالى: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ} أي: من الملائكة، ومن في الأرض من المؤمنين {طَوْعًا وَكَرْهًا}.

وفي معنى سجود الساجدين كرها ثلاثة اقوال.

أحدها: أنه سجود من دخل في الإسلام بالسيف، قاله ابن زيد.

والثاني أنه سجود ظل الكافر، قاله مقاتل.

والثالث: أن سجود الكاره تذله وانقياده لما يريده الله منه من عافية ومرض وغنى وفقر.

قوله تعالى: {وَاللَّهُمَّ} أي: وتسجد ظلال الساجدين طوعا وكرها، وسجودها: تمايلها من جانب إلى جانب، وانقيادها للتسخير بالطول والقصر.

قال ابن الأنباري: قال اللغويون: الظل ما كان بالغدوات قبل انبساط الشمس، والفيء ما كان بعد انصراف الشمس، وإنما سمى فيئا، لأنه فاء، أي: رجع إلى الحال التي كان عليها قبل ان تنبسط الشمس، وما كان سوى ذلك

فهو ظل، نحو ظل الإنسان، وظل الجدار، وظل الثوب، وظل الشجرة، قال حميد ابن ثور:

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا الفياء من برد العشي تذوق

وقال لبید:

بينما الظل ظليل مونق طلعت شمس عليه فأضحل

وقال آخر:

أيا أثلاث القاع من بطن توضح حنيني إلى أظلالكن طويل

وقيل: إن الكافر يسجد لغير الله، وظله يسجد الله. وقد شرحنا معنى الغدو والأصال في {الْأَعْرَافِ} {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَتُخَدِّتُمْ مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ تَعَفَّا وَلَا صِرَافًا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَبَصِيرٌ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}

قوله تعالى: { قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ * قُلْ اللَّهُ } إنما جاء السؤال والجواب من جهة، لأن المشركين لا ينكرون أن الله خالق كل شيء، فلما لم ينكروا، كان كأنهم أجابوا. ثم ألزمهم الحجة بقوله: { قُلْ أَفَلَا تَحَدِّثُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ } يعني: الأصنام توليتموهم فعبدتموهم وهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، فكيف لغيرهم؟ ثم ضرب مثلا للذي يعبد الأصنام والذي يعبد الله بقوله: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَبَصِيرٌ } يعني المشرك والمؤمن { أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظَّلَمَةُ وَالنُّورُ } وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص، عن عاصم: «تستوي» بالتاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «يستوي» بالياء. قال أبو علي: التانيث حسن، لأنه فعل مؤنث، والتذكير بسائغ، لأنه تانيث غير حقيقي. ويعني الظلمات والنور: الشرك والإيمان. { أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ } قال ابن الأنباري: معناه: أجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه، فتشابه خلق الله بخلق هؤلاء؟ وهذا استفهام إنكار، والمعنى: ليس الأمر على هذا، بل إذا فكروا علموا أن الله هو المنفرد بالخلق، وغيره لا يخلق شيئا.

قوله تعالى: { قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } قال الزجاج: قل ذلك وبينه بما أخبرت به من الدلالة في هذه السورة مما يدل على أنه خالق كل شيء، وقد ذكرنا في { يُوسُفَ } معنى الواحد القهار.

{ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا فَخَلَّتِ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ أُتِغَاءً حُلِيَّةٍ أَوْ مَتَّعَ زَبَدٌ مِّثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَ لَبَطَلَ فَمَا لَزَبْدٌ قَبِيْهٌ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ * لِلَّذِينَ يُتَجَابَوْنَ لِرَبِّهِمْ إِحْسَى الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَاءً فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبُئْسَ لِمَهَادُ }

قوله تعالى: { أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } يعني: المطر { فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ } وهي جمع واد، وهو كل منفرج بين جبلين يجتمع إليه ماء المطر فيسيل { بِقَدَرِهَا } أي: بمبلغ ما تحمل، فإن صغر الوادي، قل الماء، وإن هو اتسع، كثر. وقرأ الحسن، وابن جبير، وأبو العالية، وإيوب، وابن عمر، وأبو حاتم عن يعقوب: «بقدرها» باسكان الدال. وقوله: «فسالت» أودية توسع في الكلام، والمعنى: سالت مياهها، فحذف المضاف، وكذلك قوله: «بقدرها» أي: بقدر مياهها. فاحتمل السيل زبدا رابيا أي عاليا فوق الماء فهذا مثل ضربه الله عز وجل ثم ضرب مثلا آخر، فقال: { وَمِمَّا يُوقِدُونَ * عَلَيْهِ فِي النَّارِ } قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «توقدون عليه» بالتاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم بالياء. قال أبو علي: من قرأ بالتاء، فلما قبله من الخطاب، وهو قوله: «أفأخذتم»، ويجوز أن يكون خطابا عاما للكافة، ومن قرأ بالياء فلأن ذكر الغيبة قد تقدم في قوله: «أم جعلوا لله شركاء ويعني بقوله» { وَمِمَّا يُوقِدُونَ * عَلَيْهِ } ما يدخل إلى النار فيذاب من الجواهر { أُتِغَاءً حُلِيَّةٍ } يعني: الذهب والفضة { أَوْ مَتَّعَ } يعني: الحديد والصفير والنحاس والرصاص تتخذ منه الأواني والأشياء التي ينتفع بها، { زَبَدٌ مِّثْلُهُ } أي: له زبد إذا أذيب مثل زبد السيل، فهذا مثل آخر.

وفيما ضرب له هذان المثلان ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه القرآن، شبه نزوله من السماء بالماء، وشبه قلوب العباد بالأودية تحمل منه على قدر اليقين والشك، والعقل والجهل، فيستكن فيها، فينتفع المؤمن بما في قلبه كارتفاع الأرض التي يستقر فيها المطر، ولا ينتفع الكافر بالقرآن لمكان شكه وكفره، فيكون ما حصل عنده من القرآن كالزبد وكخبث الحديد لا ينتفع به.

والثاني: أنه الحق والباطل، فالحق شبه بالماء الباقي الصافي، والباطل مشبه بالزبد الذاهب، فهو وإن علا على الماء فإنه سيمحق، كذلك الباطل، وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال، فإن الله سيبطله.

والثالث: أنه مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فمثل المؤمن واعتقاده وعمله كالماء المنتفع به، ومثل الكافر واعتقاده وعمله كالزبد. قوله تعالى: {كَذَلِكَ} أي: كما ذكر هذا، يضرب الله مثل الحق والباطل. وقال أبو عبيدة: كذلك يمثل الله الحق ويمثل الباطل. فأما الجفاء، فقال ابن قتيبة: هو ما رمى به الوادي إلى جنباته، يقال: أجفأت القدر بزبدها: إذا ألقته عنها. قال ابن فارس: الجفاء: ما نفاه السيل، ومنه اشتقاق الجفاء. وقال ابن الأنباري: «جفاء» أي: باليا متفرقا. قال ابن عباس: إذا مس الزبد لم يكن شيئا. قوله تعالى: {وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ} من الماء والجواهر التي زال زبدها {فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ} فينتفع به {كَذَلِكَ} يبقى الحق لأهله. قوله تعالى: {لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ} يعني: المؤمنين، {وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ} يعني: الكفار. قال أبو عبيدة: استجبت لك واستجبتك سواء، وهو بمعنى: أجبت. وفي الحسنی ثلاثة أقوال. أحدها: أنها الجنة، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنها الحياة والرزق، قاله مجاهد. والثالث: كل خير من الجنة فما دونها، قاله أبو عبيدة. قوله تعالى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ} أي: لجعلوه فداء أنفسهم من العذاب، ولا يقبل منهم. وفي سوء الحساب ثلاثة أقوال. أحدها: أنها المناقشة بالأعمال، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس. وقال النخعي: هو أن يحاسب بذنبه كله، فلا يغفر له منه شيء. والثاني: أن لا تقبل منهم حسنة، ولا يتجاوز لهم عن سيئة. والثالث: أنه التوبيخ والتقريع عند الحساب. {أَقَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لِحَقٍّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} قوله تعالى: {أَقَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا} قال ابن عباس: نزلت في حمزة، وأبي جهل. {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ} أي: إنما يتعظ ذوو العقول. والتذكير: الاتعاظ. {لِلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ أَلْمِيقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ} قوله تعالى: {لِلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ} في هذا العهد قولان. أحدهما: أنه ما عاهداهم عليه حين استخرجهم من ظهر آدم. والثاني: ما أمرهم به وفرضه عليهم. وفي الذي أمر الله به، عز وجل، أن يوصل، ثلاثة أقوال قد نسبناها إلى قائلها في أول سورة {البقرة: 72}، وقد ذكرنا سوء الحساب آنفا.

{وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَرْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ }

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ صَبَرُوا} أي: على ما أمروا به {ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ} أي: طلبا لرضاه {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ} أتموها {وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ} من الأموال في طاعة الله. قال ابن عباس: يريد بالصلاة: الصلوات الخمس، وبالإِنفاق: الزكاة.

قوله تعالى: {ويدرءون} أي: يدفعون {وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ} وفي المراد بهما خمسة أقوال. أحدها: يدفعون بالعمل الصالح الشر من العمل، قاله ابن عباس. وفي الثاني: يدفعون بالمعروف المنكر، قاله سعيد بن جبیر. والثالث: بالعفو الظلم، قاله جوبير. والرابع: بالحلم السفه، كأنهم إذا سفه عليهم حلموا، قاله ابن قتيبة. والخامس: بالتوبة الذنب، قاله ابن كيسان.

قوله تعالى: {أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ} قال ابن عباس: يريد: عقباهم الجنة، أي: تصير الجنة آخر أمرهم.

قوله تعالى: {وَمَنْ صَلَحَ} وقرأ ابن أبي عبلة: «صلح» بضم اللام. ومعنى «صلح» آمن، وذلك أن الله تعالى ألحق المؤمن أهله المؤمنين إكراما له، لتقر عينه بهم. {وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ} قال ابن عباس: بالتحية من الله والتحية والهدايا.

قوله تعالى: {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} قال الزجاج: أضمم القول هاهنا، لأن في الكلام دليلا عليه. وفي هذا السلام قولان. أحدهما: أنه التحية المعروفة، يدخل الملك فيسلم وينصرف. قال ابن الأنباري: وفي قول المسلم: سلام عليكم، قولان. أحدهما: أن السلام: الله عز وجل، والمعنى: الله عليكم، أي: على حفظكم. والثاني: أن المعنى: السلامة عليكم، فالسلام جمع سلامة.

والثاني: أن معناه: إنما سلمكم الله تعالى من أهوال القيامة وشرها بصبركم في الدنيا.

{وَالَّذِينَ يَنفُسُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ }

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَنفُسُونَ عَهْدَ اللَّهِ} قد سبق تفسيره في سورة {البقرة: 72}. وقال مقاتل: نزلت في كفار أهل الكتاب.

قوله تعالى: {أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ} أي: عليهم.
{اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَّعٌ {

قوله تعالى: {اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ} أي: يوسع على من يشاء
{وَيَقْدِرُ} أي: يضيق. {وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا} قال ابن عباس: يريد
مشركي مكة، فرحوا بما نالوا من الدنيا فطغوا وكذبوا الرسل.

قوله تعالى: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ} أي: بالقياس إليها {إِلَّا مَتَّعٌ} أي: كالشيء الذي يتمتع به، ثم يفنى.

{وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن أَرَادَ} {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا} نزلت في مشركي مكة حين طلبوا من

رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل آيات الأنبياء. {قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ} أي: يردده عن الهدى كما ردكم بعدما أنزل من الآيات وحرّمكم

الاستدلال بها، {وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن أَرَادَ} أي: رجع إلى الحق، وإنما يرجع إلى الحق من شاء الله رجوعه، فكانه قال: ويهدي من يشاء.

{لَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} * لَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَا بَ {

قوله تعالى: {لَّذِينَ ءَامَنُوا} هذا بلد من قوله: {أَتَابَ}، والمعنى: يهدي الذين آمنوا، {وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ} في هذا الذكر قولان.

أحدهما: أنه القرآن. والثاني: ذكر الله على الإطلاق.

وفي معنى هذه الطمأنينة قولان.

أحدهما: أنها الحب له والأنس به. والثاني: السكون إليه من غير شك، بخلاف الذين إذا ذكر الله اشتمازت قلوبهم.

قوله تعالى: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ} قال الزجاج: «ألا» حرف تنبيه وابتداء، والمعنى: تطمئن القلوب التي هي قلوب المؤمنين، لأن الكافر غير مطمئن القلب.

قوله تعالى: {طُوبَى لَهُمْ} فيه ثمانية أقوال.

أحدها: أنه اسم شجرة في الجنة. روى أبو سعيد الخدري «عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما طوبى؟ قال: شجرة في

الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها» وقال أبو هريرة

طوبى شجرة في الجنة، يقول الله عز وجل لها تفتقي لعبدي عما شاء، فتفتق

له عن الخيل بسروجها ولجمها، وعن الإبل بأزماتها: وعما شاء من الكسوة.

وقال شهر بن حوشب: طوبى: شجرة في الجنة، كل شجر الجنة منها

أغصانها، من وراء سور الجنة، وهذا مذهب عطية، وشمر بن عطية، ومغيث بن سمي، وأبي صالح.

والثاني: أنه اسم الجنة بالحشية، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال المصنف: وقرأت على شيخنا أبي منصور عن سعيد بن مسجوح قال: طوبى: اسم الجنة بالهندية، وممن ذهب إلى أنه اسم الجنة عكرمة، وعن مجاهد كالقولين.

والثالث: أن معنى طوبى لهم: فرح وقرة عين لهم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

والرابع: أن معناه: نعمى لهم، قاله عكرمة في رواية، وفي رواية أخرى عنه: نعم مالهم.

والخامس: غبطة لهم، قاله سعيد بن جبير، والضحاك.

والسادس: أن معناه: خير لهم، قاله النخعي في رواية، وفي أخرى عنه قال: الخير والكرامة للذان أعطاهم الله. وروى معمر عن قتادة قال: يقول الرجل للرجل: طوبى لك، أي: أصبت خيرا، وهي كلمة عربية.

والسابع: حسنى لهم، رواه سعيد عن قتادة عن الحسن.

والثامن: أن المعنى: العيش الطيب لهم. «و طوبى» عند النحويين: فعلى من الطيب، هذا قول الزجاج. وقال ابن الأنباري: تأويلها: الحال المستطابة، والخلة المستلذة، وأصلها: «طيبى» فصارت الياء واوا لسكونها وانضمام ما قبلها كما صارت في «موقن» والأصل فيه «ميقن» لأنه مأخوذ من اليقين، فغلبت الضمة فيه الياء فجعلتها واوا.

قوله تعالى: {وَحُسْنُ مَتَابٍ} المآب: المرجع والمنقلب. {كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبَّيْوا عَلَىٰ هُمْ} لَبَّيْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ {كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ} أي: كما أرسنا الأنبياء قبلك.

قوله تعالى: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ} في سبب نزولها ثلاثة أقوال. أحدها: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال لكفار قريش: اسجدوا للرحمن، قالوا: وما الرحمن؟ فنزلت هذه الآية، وقيل لهم: إن الرحمن الذي أنكرتم هو ربي، هذا قول الضحاك عن ابن عباس.

والثاني: أنهم لما أرادوا كتاب الصلح يوم الحديبية، كتب علي عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل بن عمرو: ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة، وابن جريج، ومقاتل.

والثالث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما في الحجر يدعو، وأبو جهل يستمع إليه وهو يقول: يا رحمن، فولى مدبرا إلى المشركين فقال: إن محمدا كان ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إلهين فنزلت هذه الآية، ذكره علي بن أحمد النيسابوري.

قوله تعالى: {وَالَيْهِ مَتَابٌ} قال أبو عبيدة: هو مصدر تبت إليه. {وَلَوْ أَنَّ قُرَآئِنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ لَمُوتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ لِمِعَادٍ}

قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ قُرَآئِنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ} سبب نزولها أن مشركي قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: لو وسعت لنا أودية مكة بالقرآن، وسرت جبالها فاحترثناها، وأحييت من مات منا، فنزلت هذه الآية، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال الزبير بن العوام: قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ادع الله أن يسير عنا هذه الجبال ويفجر لنا الأرض أنهارا فنزرع، أو يحيى لنا موتانا فنكلمهم، أو يصير هذه الصخرة ذهبا فتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف فقد كان للأنبياء آيات، فنزلت هذه الآية، ونزل قوله: {مَتَعْنَا أَنْ تُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ} [الاسراء: 95] ومعنى قوله: {أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ} أي: شققت فجعلت أنهارا، {أَوْ كَلِمَ بِهِ لَمُوتَى} أي: أحيوا حتى كلموا.

واختلفوا في جواب «لو» على قولين. أحدهما: أنه محذوف. وفي تقدير الكلام قولان. أحدهما: أن تقديره: لكان هذا القرآن، ذكره الفراء، وابن قتيبة. قال قتادة: لو فعل هذا بقرآن غير قرآنكم. لفعل بقرآنكم. والثاني: أن تقديره: لو كان هذا كله لما آمنوا. ودليله قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ عَلَيْهِمْ لَمَلَئِكَةٌ} إلى آخر الآية [الأنعام: 111] قاله الزجاج.

والثاني: أن جواب «لو» مقدم، والمعنى: وهم يكفرون بالرحمن، ولو أنزلنا عليهم ما سالوا، ذكره الفراء أيضا. قوله تعالى: {بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا} أي: لو شاء أن يؤمنوا لآمنوا، وإذا لم يشأ، لم ينفع ما اقترحوا من الآيات. ثم أكد ذلك بقوله: {وَلَوْ أَنَّ قُرَآئِنًا سُيِّرَتْ} وفيه أربعة أقوال.

أحدها: أفلم يتبين، رواه العوفي عن ابن عباس، وروى عنه عكرمة أنه كان يقرؤها كذلك، ويقول: أظن الكاتب كتبها وهو ناعس،

وهذا قول مجاهد، وعكرمة، وأبي مالك، ومقاتل.
والثاني: أفلم يعلم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن،
وقتادة، وابن زيد. وقال ابن قتبية: ويقال: هي لغة للنخع «يأس» بمعنى
«يعلم» قال الشاعر:
أقول لهم بالشعب إذ يأسروني ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

وإنما وقع اليأس في مكان العلم، لأن في علمك الشيء وتيقنك به يأسك من
غيره.

والثالث: أن المعنى: قد يؤس الذين آمنوا أن يهدوا واحدا، ولو شاء الله لهدى
الناس جميعا، قاله أبو العالية.

والرابع: أفلم ييأس الذين آمنوا أن يؤمن هؤلاء المشركون، قاله الكسائي.
وقال الزجاج: المعنى عندي: أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين
وصفهم الله بأنهم لا يؤمنون، لأنه لو شاء لهدى الناس جميعا.
قوله تعالى: {وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا} فيهم قولان.
أحدهما: أنهم جميع الكفار، قاله ابن السائب. والثاني: كفار مكة، قاله مقاتل.
فأما القارعة، فقال الزجاج: هي في اللغة: النازلة الشديدة تنزل بأمر عظيم.
وفي المراد بها هاهنا قولان.

أحدهما: أنها عذاب من السماء، رواه العوفي عن ابن عباس.
والثاني: السرايا والطلائع التي كان ينفذها رسول الله صلى الله عليه وسلم،
قاله عكرمة.

وفي قوله: {أَوْ تَحُلُّ قَرِيْبًا مِّن دَارِهِمْ} قولان.
أحدهما: أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالمعنى: أو تحل أنت يا محمد،
رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة.
والثاني: أنها القارعة، قاله الحسن.

وفي قوله: {حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ} قولان.
أحدهما: فتح مكة، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: القيامة، قاله الحسن.
{أَقَمْنِ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ
تُنَبِّئُوهُمْ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَظْهَرُ مِنِّي لِقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}

قوله تعالى: {أَقَمْنِ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} يعني: نفسه عز
وجل. ومعنى القيام هاهنا: التولي لأمر خلقه، والتدبير لأرزاقهم وأجالهم،
وإحصاء أعمالهم للجزاء، والمعنى: أفمن هو مجازي كل نفس بما كسبت،

يشبها إذا أحسنت، وبأخذها بما جنت، كمن ليس بهذه الصفة من الأصنام؟ قال
الفراء: فترك جوابه، لأن المعنى معلوم، وقد بينه بعد هذا بقوله: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ
شُرَكَاءَ} كأنه قيل: كشركتهم.

قوله تعالى: {قُلْ سَمُّوهُمْ} أي: بما يستحقونه من الصفات وإضافة الأفعال
إليهم إن كانوا شركاء لله كما يسمى الله بالخالق، والرازق، والمحيي،
والمميت، ولو سموهم بشيء من هذا لكذبوا.

قوله تعالى: {أَمْ تُبَيِّنُونَهُ يَمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ} هذا استفهام منقطع مما
قبله، والمعنى: فإن سموهم بصفات الله، فقل لهم: أتنبئونه، أي: أتخبرونه
بشريك له في الأرض وهو لا يعلم لنفسه شريكا، ولو كان لعلمه.

قوله تعالى: {أَمْ يَظْهَرُ مِّنْ لَّقَوْلٍ} فيه ثلاثة أقوال.
أحدهما: أم بظن من القول، قاله مجاهد. والثاني: بباطل، قاله قتادة.
والثالث: بكلام لا أصل له ولا حقيقة.

قوله تعالى: {بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ} قال ابن عباس: زين لهم
الشیطان الكفر.

قوله تعالى: {وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن
عامر: «وصدوا» بفتح الصاد، ومثله في {حَمَّ * لِّمُؤْمِنٍ} [غافر 37] وقرأ
عاصم، وحمزة، والكسائي: «وصدوا» بالضم فيهما. فمن فتح، أراد: صدوا
المسلمين، إما عن الإيمان، أو عن البيت الحرام. ومن ضم، أراد صدهم الله
عن سبيل الهدى.

{لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ}

قوله تعالى: {لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} وهو القتل، والأسر، والسقم، فهو
لهم في الدنيا عذاب، وللمؤمنين كفارة، {وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ} أي: أشد
{وَمَا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ} أي: مانع يقيهم عذابه.

{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ
عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ}

قوله تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ} أي: صفتها أن الأنهار تجري من تحتها، هذا قول
الجمهور، وقال ثعلب: خبر المثل مضمير قبله، والمعنى: فيما نصف لكم مثل
الجنة، وفيما نقصه عليكم خبر الجنة {أُكُلُهَا دَائِمٌ} قال الحسن: يريد أن
ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا {وِظِلُّهَا} لأنه لا يزول ولا تنسخه الشمس.
قوله تعالى: {تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا} أي: عاقبة أمرهم المصير إليها.

{ وَ لَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٍ { قوله تعالى: { وَ لَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ { فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: أنهم مسلمو اليهود، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: هم عبد الله بن سلام وأصحابه.

والثاني: أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله قتادة.

والثالث: مؤمنو أهل الكتابين من اليهود والنصارى، ذكره الماوردي. والذي أنزل إليه: القرآن، فرح به المسلمون وصدقوه، وفرح به مؤمنو أهل الكتاب، لأنه صدق ما عندهم. وقيل: إن عبد الله بن سلام ومن آمن معه من أهل الكتاب، ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة، فلما نزل ذكره فرحوا، وكفر المشركون به، فنزلت هذه الآية.

فأما الأحزاب، فهم الكفار الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعاداة، وفيهم أربعة أقوال.

أحدها: أنهم اليهود والنصارى، قاله قتادة.

والثاني: أنهم اليهود والنصارى والمجوس، قاله ابن زيد.

والثالث: بنو أمية وبنو المغيرة وآل أبي طلحة بن عبد العزى، قاله مقاتل.

والرابع: كفار قريش، ذكره الماوردي.

وفي بعضه الذي أنكروه ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه ذكر الرحمن والبعث ومحمد صلى الله عليه وسلم، قاله مقاتل.

والثاني: أنهم عرفوا بعثة الرسول في كتبهم وأنكروا نبوته.

والثالث: أنهم عرفوا صدقه وأنكروا تصديقه، ذكرهما الماوردي.

{ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ابْتِغَتْ أَهْوَاءُهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنْ عِلْمٍ مَّا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ {

قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ { أي: وكما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلغاتهم

أنزلنا عليك القرآن { حُكْمًا عَرَبِيًّا { قال ابن عباس: يريد ما فيه من الفرائض. وقال أبو عبيدة: دينا عربيا.

قوله تعالى: { وَلَئِنِ ابْتِغَتْ أَهْوَاءُهُمْ { فيه قولان.

أحدهما: في صلاتك إلى بيت المقدس { بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنْ عِلْمٍ { أن قبلك الكعبة، قاله ابن السائب.

والثاني: في قبول ما دعوك إليه من ملة آباءك، قاله مقاتل.

قوله تعالى: { مَلِكٌ * مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ { أي: مالك من عذاب الله من قريب ينفعك { وَلَا وَاقٍ { يقيك.

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُم أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ }
قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ } الآية، سبب نزولها أن اليهود عيروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة التزويج، وقالوا: لو كان نبيا كما يزعم، شغلته النبوة عن تزويج النساء، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. ومعنى الآية: أن الرسل قبلك كانوا يبشرونهم أزواج، يعني النساء، وذرية، يعني: الأولاد. {وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ } أي: بأمره، وهذا جواب للذين اقترحوا عليه الآيات.
قوله تعالى: {لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ } فيه ثلاثة أقوال.
أحدها: لكل أجل من آجال الخلق كتاب عند الله، قاله الحسن.
والثاني: أنه من المقدم والمؤخر، والمعنى: لكل كتاب ينزل من السماء أجل.
قاله الضحاك والفراء.
والثالث: لكل أجل قدره الله عز وجل، ولكل أمر قضاه، كتاب أثبت فيه، ولا تكون آية ولا غيرها إلا بأجل قد قضاه الله في كتاب، هذا معنى قول ابن جرير.
{يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّثُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ }
قوله تعالى: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّثُ } قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم: «ويثبت» ساكنة الثاء خفيفة الباء. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: «ويثبت» مشددة الباء مفتوحة الثاء. قال أبو علي: المعنى: ويثبت، فاستغنى بتعدية الأول من الفعلين عن تعدية الثاني.
واختلف المفسرون في المراد بالذي يمحو ويثبت على ثمانية أقوال.
أحدها: أنه عام، في الرزق، والأجل، والسعادة. والشقاوة، وهذا مذهب عمر، وابن مسعود، وأبي وائل، والضحاك، وابن جريج.
والثاني: أنه الناسخ والمنسوخ، فيمحو المنسوخ، ويثبت الناسخ، روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وقتادة، والقرظي، وابن زيد. وقال ابن قتيبة: «يمحو الله ما يشاء» أي: ينسخ من القرآن ما يشاء «ويثبت» أي: يدعه ثابتا لا ينسخه، وهو المحكم.
والثالث: أنه يمحو ما يشاء، ويثبت، إلا الشقاوة والسعادة، والحياة والموت، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، ودليل هذا القول، ما روى مسلم في «صحيحه» من حديث حذيفة بن أسيد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا مضت على النطفة خمس وأربعون ليلة، يقول الملك الموكل: أذكر أم أنثى؟ فيقضي الله تعالى، ويكتب الملك، فيقول: أشقى، أم

سعيد؟ فيقضي الله، ويكتب الملك، فيقول: عمله وأجله؟ فيقضي الله، ويكتب الملك، ثم تطوى الصحيفة، فلا يزداد فيها ولا ينقص منها»
والرابع: يمحو ما يشاء ويثبت، إلا الشقاوة والسعادة لا يغيران، قاله مجاهد.
والخامس: يمحو من جاء أجله، ويثبت من لم يجرى أجله، قاله الحسن.
والسادس: يمحو من ذنوب عباده ما يشاء فيغفرها، ويثبت ما يشاء فلا يغفرها،
روي عن سعيد بن جبير.

والسابع: يمحو ما يشاء بالتوبة، ويثبت مكانها حسنات، قاله عكرمة.
والثامن: يمحو من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب، ويثبت ما فيه ثواب وعقاب، قاله الضحاك، وأبو صالح. وقال ابن السائب: القول كله يكتب، حتى إذا كان في يوم الخميس، طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب، مثل قولك: أكلت، شربت، دخلت، خرجت، ونحوه، وهو صادق، ويثبت ما فيه الثواب والعقاب.

قوله تعالى: {وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} قال الزجاج: أصل الكتاب.
قال المفسرون: وهو اللوح المحفوظ الذي أثبت فيه ما يكون ويحدث وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله تعالى في ثلاث ساعات يبين من الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت». وروى عكرمة عن ابن عباس قال: هما كتابان، كتاب سوى أم الكتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب لا يغير منه شيء.
{وَإِنْ مَا تُرِيَّتْكَ بَعْضَ لَذَى نَعْدُهُمْ أَوْ تَتَوَفَّيْتَكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ لَبَلٌ وَعَلَيْنَا لِحِسَابُ}

قوله تعالى: {وَإِنَّمَا تُرِيَّتْكَ بَعْضَ لَذَى نَعْدُهُمْ} أي: من العذاب وأنت حي أو {تَتَوَفَّيْتَكَ} قبل أن نريك ذلك، فليس عليك إلا أن تبلغ، {وَعَلَيْنَا لِحِسَابُ} قال مقاتل: يعني الجزاء. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس أن قوله: «فإنما عليك» البلاغ نسخ بأية السيف وفرض الجهاد، وبه قال قتادة.
{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا تَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعٌ لِحِسَابِ}

قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا تَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا} فيه خمسة أقوال.

أحدها: أنه ما يفتح الله على نبيه من الأرض، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والضحاك. قال مقاتل: «أولم يروا» يعني: كفار مكة «أنا تأتي الأرض» يعني: أرض مكة «ننقصها من أطرافها» يعني: ما حولها.

والثاني: أنها القرية تخرب حتى تبقى الأبيات في ناحيتها، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة.

والثالث: أنه نقص أهلها وبركتها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال الشعبي: نقص الأنفس والثمرات.

والرابع: أنه ذهب فقهاؤها وخيار أهلها، رواه عطاء عن ابن عباس. والخامس: أنه مَوِّت أهلها، قاله مجاهد، وعطاء، وقتادة.

قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ} قال ابن قتيبة: لا يتعقبه أحد بتغيير ولا نقص. وقد شرحنا معنى سرعة الحساب في سورة [البقرة 202].

{وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ لِمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ}

قوله تعالى: {وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} يعني: كفار الأمم الخالية، مكروا بأنبيائهم يقصدون قتلهم، كما مكرت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه. {فَلِلَّهِ لِمَكْرُ جَمِيعًا} يعني: أن مكر الماكرين مخلوق له، ولا يضر إلا بإرادته؛ وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين له. {يَعْلَمُ * تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ} من خير وشر، ولا يقع ضرر إلا بإذنه. {وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «وسيعلم الكافر» قال ابن عباس: يعني: أبا جهل. وقال الزجاج: الكافر هاهنا: اسم جنس. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «الكفار» على الجمع.

قوله تعالى: {لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ} أي: لمن الجنة آخر الأمر. وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ لِكِتَابٍ {

قوله تعالى: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا} فيهم قولان.

أحدهما: أنهم اليهود والنصارى. والثاني: كفار قريش. {قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} أي: شاهدا {بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} بما أظهر من الآيات، وإبان من الدلالات على نبوتي.

قوله تعالى: {وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ لِكِتَابٍ} فيه سبعة أقوال.

أحدها: أنهم علماء اليهود والنصارى، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثاني: أنه عبد الله بن سلام، قاله الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وابن زيد، وابن السائب، ومقاتل.

والثالث: أنهم قوم من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحق، منهم عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداري، قاله قتادة.

والرابع: أنه جبريل عليه السلام، قاله سعيد بن جبير.

والخامس: أنه علي بن أبي طالب، قاله ابن الحنفية.

والسادس: أنه بنيامين، قاله شمر.

والسابع: أنه الله تعالى، روي عن الحسن، ومجاهد، واختاره الزجاج واحتج له بقراءة من قرأ: «ومن عنده علم الكتاب» وهي قراءة ابن السميع، وابن أبي عبلة، ومجاهد، وأبي حيوة. ورواية ابن أبي سريج عن الكسائي: «ومن» بكسر الميم «عنده» بكسر الدال «علم» بضم الميم وكسر اللام وفتح الميم «الكتاب» بالرفع. وقرأ الحسن «ومن» بكسر الميم «عنده» بكسر الدال «علم» بكسر العين وضم الميم «الكتاب» مضاف، كأنه قال: أنزل من علم الله عز وجل.